وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قفصة

المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية بقفصة



من قبصة إلى قفصة

التاريخ والتراث والتنمية

فعاليات الندوة العلميّة الدوليّة الأولى

– قفصة، 5، 6، 7 ماي 2022 –

جمع النصوص وأعدّها للنشر

مسطاري بوكثير



من قبصة إلى قفصة: التاريخ والتراث والتنمية

DE CAPSA À GAFSA : HISTOIRE, PATRIMOINE ET DÉVELOPPEMENT

Ministère de l’enseignement supérieur et de la recherche scientifique

Université de Gafsa

Institut Supérieur des Sciences Sociales et de l’Education de Gafsa

DE CAPSA À GAFSA

HISTOIRE, PATRIMOINE ET DÉVELOPPEMENT

Actes du Ier Colloque international

Gafsa, 5, 6 et 7 mai 2022

Textes réunis et édités par

Moustari Boukthir









Tunis - 2023









وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قفصة
المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية بقفصة

من قبصة إلى قفصة
التاريخ والتراث والتنمية

فعاليات الندوة العلميّة الدوليّة الأولى
- **قفصة**، 5، 6، 7 **ماي** 2022 -

جمع النصوص وأعدّها للنشر
مسطاري بوكثير







تونس – 2023

اللّجنة العلمية

عبد اللطيف مرابط: أستاذ متميّز (كلية الآداب والعلوم الانسانية – سوسة)
محمد حسن: أستاذ متميّز (كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – تونس)
أحمد الباهي: أستاذ تعليم عال (كلية الآداب والعلوم الانسانية – القيروان)
مصطفى التليلي: أستاذ تعليم عال (كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – تونس)
لطفي نداري: أستاذ تعليم عال (كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – تونس)
محمد لزهر الغربي: أستاذ تعليم عال (كلية الآداب والفنون والانسانيات – منوبة)
بشير اليزيدي: أستاذ تعليم عال (كلية الآداب والفنون والانسانيات – منوبة)
لطفي بلهوشات: مدير بحوث (المعهد الوطني للتراث)
نبيهة عوادي: مديرة بحوث (المعهد الوطني للتراث)

جمع النصوص وأعدّها للنشر

مسطاري بوكثير

تنسيق

منجي حامد – موسى الطبابي – مسطاري بوكثير

صورة الغلاف

تبر الطرش (البرج الأثري بقفصة)







حقوق النشر: **المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية بقفصة**
جمع النصوص وأعدّها للنشر : مسطاري بوكثير .
ردمك : 978-9938-9660-0-8 - تونس - 2023
تصميم وإخراج : توفيق الساسي / **طبع :** السنباكت

الفهرس

تقديم

مسطاري بوكثير

مدير المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية بقفصة

لا شكّ أنّ من أهمّ الأدوار التي يجب أن تضطلع بها المؤسسات الجامعية، بغض النظر عن تخصّصاتها. الحرص على إيلاء البحث العلمي العناية القصوى، باعتباره العلامة الفارقة في مسيرة هذه المؤسسات وإشعاعها وطنيا ودوليا. وذلك بتنظيم الندوات والملتقيات العلميّة الدوريّة، وتيسير إدماج الباحثين ضمن هياكل البحث وخلاياه بمختلف أصنافها.

انطلاقا من هذا الاعتبار، تأسّست ندوة قفصة التي ستمثّل لقاء علميّا جامعا للباحثين في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية واللغات والآداب والفنون، يُنظّم دوريا وتُنشر أعماله تحت إشراف لجنة علمية متعدّدة الاختصاصات.

ولمّا كانت مدينة قفصة هي الحاضنة لهذه الندوة، فقد ارتأينا تخصيص هذه الدورة التأسيسية لتقديم البحوث المستجدّة حول هذه المدينة وناحيتها، كما سنفسح المجال للباحثين خلال الدورات اللاحقة لتقديم آخر ما تمّ التوصّل إليه من نتائج حول هذا المجال، بصرف النظر عن المحور الأساسي للندوة.

تُعَدُّ حصيلة هذه الدورة جدّ هامّة، حيث تمثّلت في اثنين وثلاثين مقالا ننشرها بين دفّتي هذا الكتاب، وقد توزّعت بين سبعة عشر مقالا بالعربية وخمسة عشر مقالا بالفرنسية، غطّت مختلف الحقب التاريخية بداية من فترة ما قبل التاريخ إلى حدود اللّحظة الراهنة، كما تطرّقت إلى قضايا التراث بمختلف ألوانه ضمن مقاربات تطرح سبل تثمين هذا التراث وتوظيفه كركيزة من ركائز التنمية المحليّة.

فبالرغم من الاهتمام البالغ الذي حظيت به جهة قفصة من طرف المختصّين في فترة ما قبل التاريخ، والذي بدأ منذ أواخر القرن التاسع عشر، ليتّخذ منعرجا حاسما خلال سنة 1906، عندما تمّ اكتشاف موقع المقطع على بعد حوالي 10 كلم شمال مدينة قفصة. مازالت هذه الجهة تشدّ الباحثين وتمثل مجالا مهمّا واستثنائيا للتنقيب واقتفاء آثار الانسان الذي عمّرها واستقرّ بها، استجلاء لطرق عيشه وممارساته وطقوسه. ولا شكّ أنّ البحوث التي خصّت فترة ما قبل التاريخ ضمن هذا الكتاب تمثّل إضافة علمية جادّة، حيث رصدت تطوّر التقنيات والأدوات التي اعتمدها القبصيون في حياتهم اليومية، كما تطرّقت إلى المعالم الجنائزية، وكشفت عن جزء من السّجل الزخرفي الذي كان معتمدا في تزيين الأواني المستعملة. ودقّقت البحث في الدلائل والمؤشّرات المادية للعصر الحجري الحديث في جهة قفصة وعلاقة ذلك بالمجتمعات الرعوية في غيرها من المناطق بالبلاد التونسية.

ولم تكن قفصة وجهتها أقلّ اهتماما من طرف الباحثين المختصّين في الفترة القديمة، حيث طُرحت إشكاليات عديدة ضمن هذه الفترة التاريخية، توزّعت على سبعة مقالات انطلق أغلبها من دراسة الآثار والمسح المجالي. ولئن تناولت أغلب هذه المقالات قضايا ومجالات تم التطرّق إليها سابقا، فإنّها اعتمدت في المقابل على قراءات جديدة للشواهد الأثرية أو النقائشية وأعادت استنطاقها وفقا لمقاربة علمية أكثر دقّة وعمقا. وهو ما يبدو جليّا في الدراستين اللّتين خُصّصتا لفسيفساء باطن زمّور، وكذلك الدراسة التي تطرّقت إلى النشاط البلدي والمبادرات الخيرية بمدينة قفصة في عهد الإمبراطور ادريانوس. كما تناولت دراسات أخرى عنصرا مخصوصا من المجال التعميري، فدرس أصحابها خصائص الشبكة المائية الريفية ومكوناتها، ومواقع غراسة الزياتين، كما تمّ التركيز على المغاور الجبلية ضمن دراسة تضمّنت تصنيفا لهذه العناصر وأهمّ الوظائف التي لعبتها عبر التاريخ. وانطلق صنف ثالث من المقالات من الاكتشافات الحديثة، وهو ما ينطبق على الدراسة التي خصّصت لمواقع إنتاج الخزف بجهة قفصة، وقد مثّل اكتشاف مواقع جديدة في هذا الإطار إضافة تاريخية هامّة حول خارطة مراكز الإنتاج بهذه الجهة وسجل الأصناف المنتَجة.

أمّا العصر الوسيط، فتتنزّل ضمنه دراستين اثنتين، دراسة أولى تمحورت حول تغريب قبلة جامع الخطبة بقفصة بالنسبة إلى قِبلة جامع القيروان ومدى إمكانيّة إصلاح هذا الانحراف، وهي مسألة تمّ طرحها ضمن نازلة وثّقتها بدقّة بعض كتب علم الميقات وأجاب عنها كبار علماء المالكية في

ذلك الوقت، وقد تطرّق الباحث في سياق تتبُّعه لهذه المسألة إلى قضية انحراف القبلة التي اتّسمت بها مساجد الفترة الإسلَامية الأولى، كما تطرّق في علاقة بذلك إلى الصراع السنّي الشيعي.

واهتمّت الدراسة الثانية بمجال واحي يتمثل في واحة نفطة، وتناول الباحث من خلالها تطور المشهد العمراني الذي عرف تغيّرا كبيرا بداية من القرن السادس عشر. فبعدما كانت القبيلة والمذهب هما اللّذان يحدّدان ملامح الخارطة العمرانية، أصبح العرش يمثّل المحدّد الأساسي في تشكّل الوحدات العمرانية وتوزّعها، وتزامن ذلك مع بروز النواتات العمرانية المجمّعة بعدما كانت متفرّقة.

ونظرا إلى التحوّلات العميقة التي شهدتها مدينة قفصة وجهتها خلال الفترة المعاصرة، والتي مسّت البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فقد خصّص لهذه الفترة العدد الأكبر من الدراسات بما مكّن من إعادة تناول عدة قضايا بمقاربات وقراءات جديدة، كما تطرّقت هذه الدراسات لقضايا أخرى يتم البحث فيها لأول مرّة.

فتنوّعت البحوث بتنوّع المقاربات والإشكاليات المطروحة، منها ما اهتمّ بالتحولات الهيكلية بجهة قفصة على امتداد فترة زمنية طويلة نسبيا تغطي الحقبة الحديثة والمعاصرة، وتمحورت دراسات أخرى حول مجالات جغرافية محدّدة خلال فترة الاستعمار الفرنسي، ومثّلت مدن الحوض المنجمي في هذا الإطار و«قطاع السند-زانوش» المجالين اللذين تم تناولهما بالبحث.

واهتمّ صنف ثالث من الدراسات بمسألة التوثيق، أي بما وثّقه الرحّالة والمؤرخون حول قفصة وجهتها إمّا عبر المشاهدة أو النقل. وتبدو إضافة هذه الدراسات على قدر كبير من الأهمية خاصّة أنّها قد عرضت ما دوّنه بعض الرحّالة الذين نادرا ما تمّ التطرق إلى مصنّفاتهم سابقا على غرار الرحالة الإيطالي غوليالمو فينوتي الذي زار البلاد التونسية سنة 1855.

وبقدر أهميّة القضايا والإشكاليات التاريخية التي تمّ تناولها في هذه الدراسات، اتّسمت قضايا التنمية والتراث هي الأخرى بالقدر نفسه من الأهميّة، فكان لها نصيب في هذه الندوة. وقد تناولت الدراسات التي تتنزل ضمن هذا المحور قضية التنمية باعتبارها إحدى التزامات «الدولة الوطنية»، ورصدت تطور الدور الذي تقوم به الدولة في هذا الإطار بداية من 1957 إلى يومنا هذا. ولم تغفل الدراسات التي اهتمّت بالتراث كذلك قضية التنمية.

حيث، ولئن عرضت خصائص بعض العناصر التّراثية التي تناولتها بالبحث ورصدت المخاطر التي تتهدّدها، فإنّها قدّمت كذلك الرّؤى والتصورات الملائمة لحفظها وتثمينها، وإدراجها خاصّة ضمن مسارات التنمية المحليّة.

إنّ مجمل هذه الدراسات على اختلاف مضامينها ومناهجها، تمثّل إضافة علمية هامّة ضمن سجل الدراسات التي أُنجزت حول جهة قفصة عموما. كما يمثّل اللقاء الأكاديمي الذي قُدمت خلاله هذه الدراسات مكسبا للباحثين في شتّى الاختصاصات، وهو ما يدعونا إلى الحرص على ديمومته وتطويره وتنويع القضايا والملفّات البحثية التي سيتمّ تناولها لاحقا.

قصور قفصة: دراسة طوبونومية

لطفي نداري[1] / خالد الجويني[2]

ملخّص

تعالج هذه الورقة العلمية البحث في أصل تسمية بعض قصور قفصة التي تناقلتها المصادر التاريخية والجغرافية الوسيطة. فقد أورد ابن الشباط خصوصا ذكرا لأسماء عدد من هذه القصور: قندادس، قلمنطس، شقراطس وقطس مثلا مؤكدا على أصولها الأعجمية. فبالاعتماد على مقاربة صوتية واستقراء دقيق لما أورده ابن الشباط في طريقة نطقها نورد فيما يلي قراءة في أصل أسماء هذه القصور التي يمكن مقاربتها بأسماء وكنى لاتينية واغريقية متداولة داخل المجتمع الافريقي المرومن ثم المسيحي خلال الفترات القديمة، الرومانية والبيزنطية.

الكلمات المفاتيح: قفصة–قصور–طوبونوميا–ابن الشباط–أسماء أعجمية–ملكيات الكنيسة الافريقية.

Résumé

Cet article fait le point sur l'origine toponymique de certains de *ksour* de Gafsa connus par les sources d'époque médiévale. Ibn Chabbat, à titre d'exemple, révèle le nom de certains de ces *ksour* tout en soulignant leur origine latine (*aâjami*). En effet, en se fondant sur un rapprochement phonétique et un examen attentif de ce qu'il rapporte en matière de prononciation de ces toponymes, nous proposons une lecture qui les rattachent à des noms et à de surnoms latins et grecs fréquents dans le tableau

1) كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس.

2) كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس.

onomastique de la société africo-romaine et chrétienne durant l'époque romaine et byzantine.

Mots-clés : Gafsa- *Ksour*- toponymie- Ib Chabbat- Noms latins- propriétés de l'église africaine.

Abstract

This scientific paper analyzes the namigin's origin of some Gafsa's castles that the medieval historical and geographic sources have passed on. Ibn Chabbat has mentioned some of these castles' names, and assured their aâjami (latin) origins. Relying on Ibn Shabat's phonetic approach and accurate extrapolation way of pronunciation, we propose a lecture of these names, that can be approached to known Latin and Greek names in the Roman-African and Christian society in the classic eras.

Keywords*: Gafsa- Ksour- toponymy- Ibn Chabbat - âajam (latin) names- African's church proprieties*

ما انفكت الدراسات التاريخية الحديثة منذ السبعينات من القرن العشرين تُسارِع الخطى في تطوير أدوات بحثها وتنويع مصادر معارفها من أجل تجاوز حلقة الاقتصار على استغلال النصوص الأدبية دون غيرها في كتابة التاريخ. ولا شك أن المؤرخ بات على يقين من أهمية العلوم المساعدة في اثراء معارفنا التاريخية. وفي هذا الإطار تتنزل مساهمتنا من خلال هذا العمل في اعتماد علم أسماء الأماكن أو الطوبونوميا لدراسة أسماء بعض «قصور قفصة» خلال العصر الوسيط. فمجموع هذه الأسماء يشكل مخزونا لغويا وانثروبولوجيا مهما ووثيقة لا تقل أهمية عن الشواهد الأثرية والنصوص لفهم آليات الانتقال بين الفترتين القديمة والوسيطة وإعادة تركيب المشهد المجالي جنوب غرب افريقية.

«قصور قفصة» في المصادر العربية

تطرح قضية المصطلحات صعوبات جمة في مجال البحث التاريخي بالنظر لاختلاف مدلولاتها وتغير استعمالاتها عبر الزمن والمكان. وبالرغم من محاولات رصد دلالات مصطلح «القصر» وضبط التحولات التي طرأت عليه في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، بقيت مسألة وضع مفهوم دقيق لهذا المصطلح تحتاج الى مزيد التثبت، شأنها في ذلك شأن أغلب المصطلحات المتعلقة بالملكية العقارية والمنشآت التحصينية على غرار «الضيعة» و«المنزل» و«القرية» و«الحصن» و«الرباط» و«البرج»[3].

نهدف من خلال هذه الورقة المُقدَمة تبيَن جذور أسماء «قصور قفصة»، حتى نقف على دلالات مصطلح القصر خلال العصر الوسيط وارتباطه بالعمارة الافريقية القديمة.

فقد ارتبط تاريخ قفصة في مؤلفات الفترة الوسيطة لا سيما التاريخية والجغرافية منها بثلاث قضايا أساسية هي: الماء والواحة والقصور، غير أن أوَل ذكر للمدينة في هذه المصادر اقترن بقصورها من خلال سرد أحداث حملة عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح سنة 27 هـ / 647 م. فمباشرة بعد هزيمة البيزنطيين في معركة سبيطلة تطأ سنابك خيل العرب قصور قفصة[4]. يحيلنا ذلك الى جذورها القديمة وارتباطها بالعمارة الرومانية البيزنطية.

لم يكن ذكر قصور قفصة ليقتصر خلال مرحلة الانتشار على نصوص حملة عبد اللّه بن سعد، بل إنه مع حملة حسان بن النعمان الثانية سنة 78 هـ / 698 م تناقلت مصادرنا خطَ سير هذه الحملة التي بدأت بإخضاع قابس ونفزاوة والجريد ثم قفصة، قبل أن يلتقي حسان بالكاهنة في معركة أخيرة فاصلة بالقرب من جبال الأوراس. ولئن اتفقت جملة هذه المصادر حول تفاصيل سير أحداث الحملة[5]، فان ابن الشباط ينفرد دون غيره من المؤلفين بذكر «قصور قفصة» فيروي قائلا:

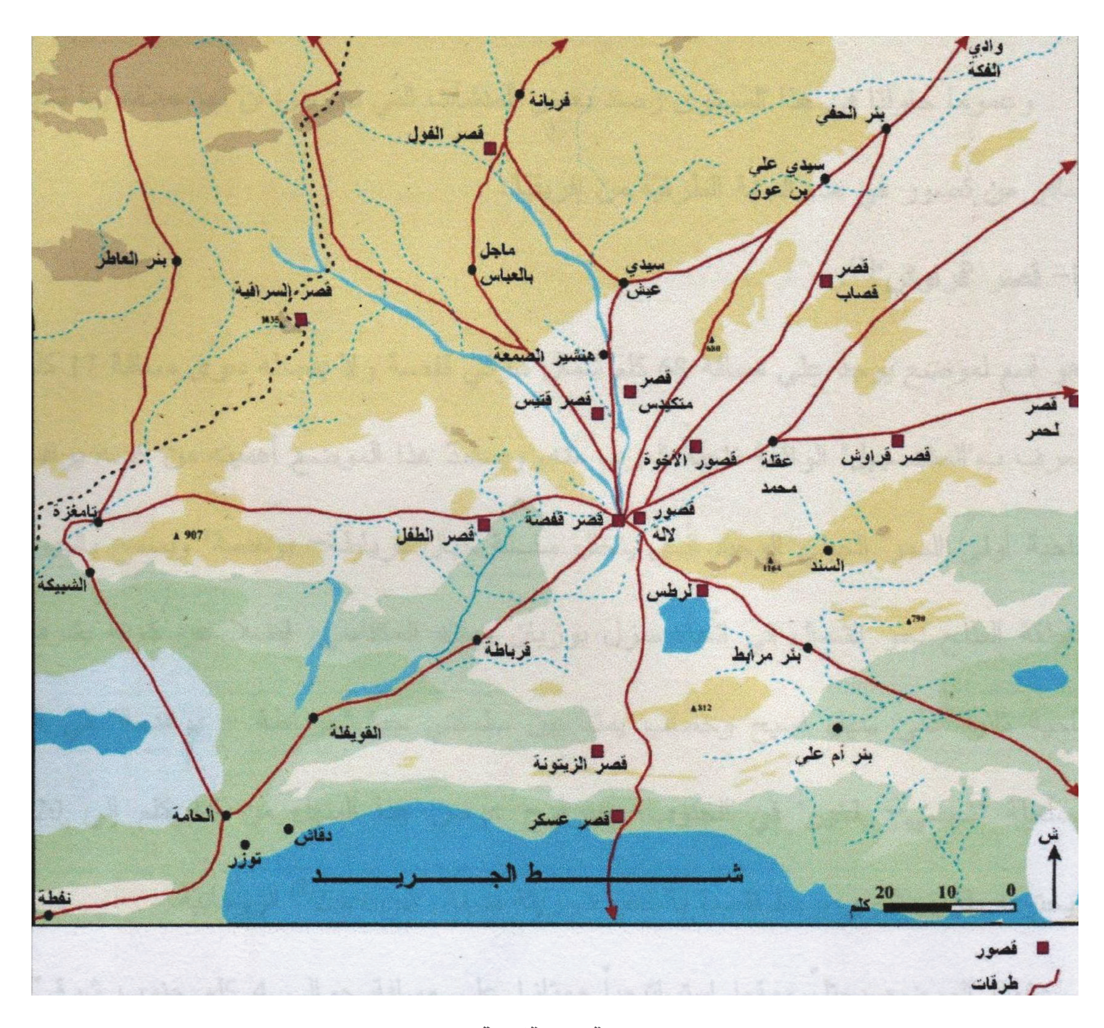
---

3) حسن محمد، **الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول الى القرن التاسع هجري / السابع-الخامس عشر الميلادي**، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.

4) ابن عذاري، **البيان**، ج 1، ص 12؛ **الاستبصار**، ص 133؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج 24، ص 16؛ المالكي، **رياض النفوس**، ج 1، ص 19؛ الحميري، **الروض المعطاء**، ص 48.

5) الرقيق، **تاريخ**، ص 49؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج 24، ص 37.

«واستطال طريق القيروان فمال الى قصور قفصة فنزلها، فأهدى اليه ملوكها وملوك قفصة وقسطيلية ونفزاوة وبعثوا يستغيثون به من الكاهنة فسرّه ذلك»[6].



قصور قفصة

6) ابن الشباط، **صلة السمط**، ج 3، ص 117. هذا وقد أورد محقق جزء «فتح افريقية والمغرب» من كتاب **صلة السمط** عبارة «**ملوك**» قصور قفصة في صيغة المفرد: «**واستطال طريق القيروان فمال الى قصور قفصة فنزلها فأهدى اليه ملكها وملوك قفصة وقسطيلية ونفزاوة**»، أنظر ابن الشباط، **صلة السمط**، تحقيق خالد الشابي، ص 110.

لا شك أن استجلاء هوية من تشير إليه رواية ابن الشباط تحت اسم «**ملوك قصور قفصة**» تستوجب العودة الى مرحلة الحضور البيزنطي وفترة نصف القرن التي تلتها، بدءا من حملة عبد اللّه بن سعد ووصولا الى حملة حسان الثانية، حينما تلاشت أي مظاهر حقيقية لسلطة مركزية قادرة على ضبط الأوضاع. فعلى الرغم من استحكام القبضة البيزنطية على أغلب ولايات المقاطعة الافريقية والقيام بإصلاحات زمن حكم الإمبراطور موريس 582-602 م، إلا أن انعدام الاستقرار السياسي ظل السمة المميزة للحضور البيزنطي لا سيما في منطقة البيزاسين. ولعلنا نجد في تزايد نزعة القبائل نحو نبذ تبعيتها للبيزنطيين تعبيرا حيا على وهن أصاب الإمبراطورية فبرزت زعامات قبلية مارست نفوذا واسعا في مناطقها أجبرت السلطات البيزنطية على ابرام اتفاقيات معها تنظم التزامات كل طرف كما هو الأمر مع كوزينا الذي مارس نفوذا على جميع قبائل بلاد نوميديا وجنوب غرب البيزاسين حتى تاريخ تصفيته سنة 563 م.

وينفرد ابن حوقل تـ 367 هـ / 977 م بذكر «**القصور الثلاثة**» الواقعة على المسلك التجاري الصحراوي الرئيس الذي يربط حامة قسطيلية بمدينة قفصة[7]، وتكمن أهمية نص ابن حوقل في كونه النص الوحيد الذي بحوزتنا والذي يشير الى احدى القصور الواقعة ناحية الجنوب الغربي من المدينة. وعلى عكس أغلب الجغرافيين والمؤرخين، يُعدُ وصف البكري تـ 487 هـ / 1094 م أحد أهم ما لدينا حول قصور قفصة. فقد تضمن كتابه معلومات غزيرة نسبيا، جمعها من مصادر متفرقة ومفقودة تعود الى القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين. ولعل أهم ما ينفرد به البكري عن غيره من الجغرافيين هو ذكره لعدد ينيف عن 200 قصر فضلا عن كشفه لصورة لأحد هذه القصور التي يدعوها بمدينة «**طراق**» وتقع على مسلك قفصة القيروان:

> «**ومن قصور قفصة مدينة طراق... وهي كبيرة آهلة بها جامع وسوق حافلة، واليها يُنسب الكساء الطراقي، وهو من جهاز مصر، وهي كثير الفستق**»[8].

وفي الواقع وبعيدا عما يمكن أن يحيلنا اليه العدد الذي يقدمه البكري من تضخيم لعدد القصور، فان أهمية النص تكمن بشكل أساسي: في التنبيه على استمرار تعمير هذه القصور حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ثم أن بعضها مثل «طراق» هو بمثابة المدينة التي امتلكت لنفسها مؤسسات على

7) **صورة الأرض**، ص 92.
8) البكري، **المسالك**، ج 2، ص 707.

غرار الأسواق التي لا نكاد نجد لها ذكرا في تلك القرى والمنازل التي تعرضت لها مصادرنا الوسيطة في بقية أنحاء افريقية[9].

لم يكن للهجرة الهلالية في أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أن تدفع في اتجاه خراب هذه القصور واندثارها، فهذا الادريسي في القرن السادس الهجري تـ 560 هـ / 1166 م يشير الى تواصل تعمير هذه القصور واستمرار قيامها بوظائفها. حيث يذكر واصفا قفصة كالآتي:

«لها جمل جنات وبساتين وقصور قائمة معمورة يُزرع بها ضروب من غلات الحناء والقطن والكمون»[10].

كما تحفل أحداث القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي بذكر «**قصور لالة**» عند الطرف الجنوبي الشرقي لغابة قفصة وهي التي اتخذها ابن عبد الكريم سنة 596 هـ / 1200 م معسكرا له في انتظار خصمه يحيى بن إسحاق الميورقي القادم من قابس[11].

وبعد أكثر من ستة قرون من الحضور العربي بإفريقية تطالعنا المصادر العربية بأخبار تراجع وخراب عمران هذه القصور. ففي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ضمَّن صاحب الاستبصار في كتابه وصفا يُناقض ما عرضه الادريسي قبل ثلاث عقود تقريبا من الزمن قائلا في وصف مدينة قفصة:

«**وكانت مدينة قفصة أعظم بلاد افريقية نظرا، كان حولها نحو** 200 **قصر آهلة عامرة، فيها الأشجار والنخل والزيتون والفستق وجميع الثمار، وفيها العيون والأنهار والآبار، وتُسمى قصور قفصة**». ويُضيف «**وكانت القوافل إذا خطرت بين هذه القصور تكمُّ إبلها ودوابها لئلا ترعى ورق الشجر لكثرته على ذلك الطريق وهي اليوم خربة لا أنس بها من وقت دخلت العرب بلاد افريقية**»[12].

وتدعيما لما نقله صاحب الاستبصار ينفرد ابن الشباط، وهو العارف بأحوال المنطقة، بتعداد ثلاثة من تلك القصور المندثرة وهي كل من **شقراطس وقندادس وقلمنطس**، علاوة على ذكره اسمين من القصور القليلة المتبقية وهما كل من **قطس وأرطس**، وهي جملة الأسماء التي تتمحور حولها هذه الورقة

9) عرف محمد بن سحنون تـ 256 هـ / 869 م أهل المنزل على أنهم يشبهون أهل الوبر «**لأنه لا توجد بها الأسواق ولا الطعام المطبوخ للشراء**»، **الأجوبة**، ص 247.

10) الادريسي، **نزهة**، ص 278.

11) التجاني، **رحلة**، ص 353؛ السراج، **الحلل**، ص 1، ص 465.

12) **الاستبصار**، ص 154.

العلمية. كما يُعقب في الآن نفسه على ما أورده البكري في وصفه لمدينة قفصة وقصورها قائلا:

«أما وصفه من العين التي في الجامع بذلك الوصف فليس به في عصرنا هذا عين وكذلك القصور التي ذكر غنما كانت والله أعلم في القديم ولم يبق منها الا القليل»[13].

وفي مكان آخر يضيف ابن الشباط في معرض حديثه عن اختلاف الناس في نسبة «الشقراطسي» قائلا:

«الى أن أخبرني بعض العدول من أصحابنا أن شقراطس قصر كان في القديم من قصور قفصة وأنهم اليه يُنسبون وأخبرني بعض من له بحث على الأنساب أنه وقف على عقد يتضمن أن نسبهم يرجع الى قريش، قال ولا أشك في ذلك»[14].

لئن كان المجال لا يسمح في هذه الورقة لاستعراض مفهوم القصر وتعدد استعمالاته نتيجة تطوره عبر الزمن أولا، وباعتبار القصر أحد العناصر العامة لاسم المكان الأكثر شيوعا في المصادر العربية وعلى الأرض حاليا ثانيا، فان اهتمامنا ينصب على البحث في أصول أسماء الأماكن التي أوردتها مصادر العصر الوسيط في جهة قفصة. لا نروم في الواقع دراسة كل أسماء الأماكن الواردة في المصادر، بل سيقتصر الأمر على الحفر في أصول تلك الأسماء والتي انفرد ابن الشباط بذكرها وهي على التوالي: شقراطس، قندادس، قلمنطس، قطَس وأرطس. لم يتسنَ لنا في الحقيقة الوقوف على أصل بربري لهذه الأسماء من خلال قراءة جذع الكلمة ولا حتى على أصول عربية من خلال المعاجم، لذلك انصب اهتمامنا على فرضية أن يكون لهذه الأسماء أصول لاتينية أو إغريقية خاصة مع وجود اللاحقة «-ius» أو «-us».

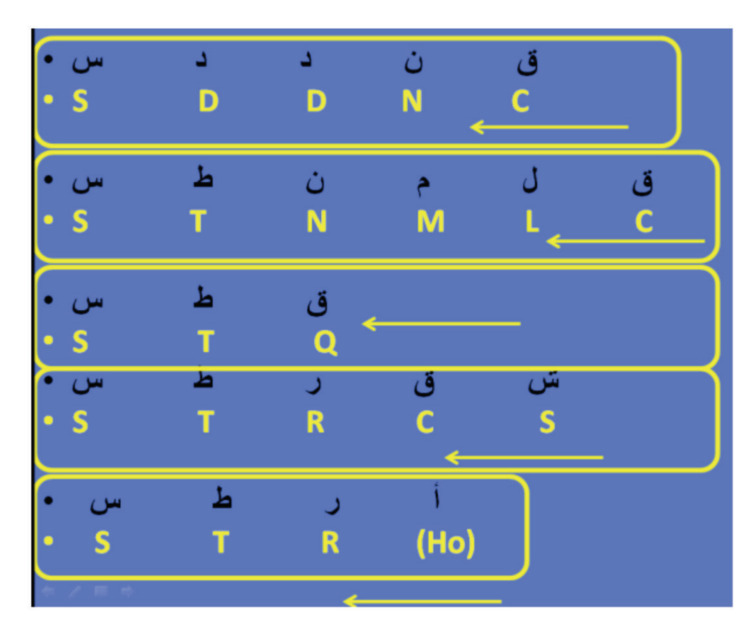
إن هذه الأسماء التي يوردها ابن الشباط والذي يؤكد أصلها الأعجمي تجعلنا نقدم محاولة في قراءتها وتقديم فرضيات عمل من أجل رصد أصولها والبحث في جذورها. ففي قراءة أولى لأسماء هذه القصور، وخصوصا الأربعة الأولى منها (قندادس، قلمنطس، شقراطس، قطس) نلاحظ وجود تشابه صوتي، خصوصا على مستوى تسلسل الحروف الصامتة وهيكلتها مقارنة بأسماء وكنى لاتينية. فقندادس وقلمنطس وشقراطس ليست سوى نطقا مطوَعا ومعرَبا للكنى اللاتينية CANDIDUS، CLEMENTIUS، SOCRATES، مع التأكيد

13) ابن الشباط، **صلة**، مخ 5606، ص 103 ظ.

14) ابن الشباط، **صلة السمط**، مخ رقم 21592، ج 1، ص 9 ظ.

على أن الاسم الثالث والمتواتر في قائمة الأسماء المتداولة في المجتمع الإفريقي الروماني هو ذو أصول إغريقية.

أما بالنسبة لقطيس، وإذا اعتمدنا نفس آلية التحليل، فإنه يمكن مقاربته بالكنية اللاتينية QUIETUS. وحول لرطس أو الأرطس ومنها أرطس وبالاعتماد على نفس قاعدة تسلسل الحروف الصامتة وهيكلتها فإنه يمكن مقاربته باللفظة اللاتينية HORTUS والتي تعني الحديقة والسكن والمنزل الريفي والضيعة. إنه بالرجوع إلى ابن الشباط ذاته نجد استعمالا وذكرا لعديد المصطلحات والمفردات وأسماء الأماكن ذات الأصول اللاتينية.



تسلسل الحروف الصامتة لأسماء قصور قفصة

ثم انه وبمراجعة نص ابن الشباط نجد ضبطا لشكل الحروف الصامتة (les voyelles) لحسن نطقها والذي يتطابق كليا أو جزئيا مع النطق اللاتيني للأسماء التي أوردناها. فهو مثلا يرسم **قندادس** ويضبط نطقها بـ: «كسر القاف وسكون النون ودالين مهملتين والثانية منهما مكسورة وآخره سين مهملة»[15]. أما نطق «**قلمنطس**» فيورده كما يلي «كسر القاف وسكون اللام وكسر الميم وسكون

15) ابن الشباط، **ن. م.**، ص 3186 ظ.

النون وكسر الطا المهملة وبالسين المهملة»[16]. وفي ذات السياق ضبط قراءة «**شقراطس**» «بفتح الشين المعجمة وسكون القاف وبالرَا المهملة وبعدها ألف وطا مهملة وآخره سين مهملة»[17]. وحدد نطق «**أرطس**» «بضم الهمزة وسكون الرَا المهملة وضمَ الطا المهملة وآخره سين مهملة»[18]. ويكتب «**قطس**» ويحدد نطقها كالتالي «كسر القاف وكسر الطا المهملة وآخره سين مهملة»[19].

ويحيلنا ذلك كله إلى مسألة مهمة من الناحية الطبونومية وهو المحافظة خلال الفترة الوسيطة على هذه الأسماء اللاتينية مع تحويرات جد طفيفة في نطقها وعلى نفس تسلسل الحروف الصامتة وحركاتها وهو ما يفيد بوجود عملية نقل وفّي للحروف اللاتينية دون تحريف أو تنقيح أو تطويع مبالغ فيه.

إن الاعتقاد في صحة هذه القراءة بالاعتماد على آليات التشابه الصوتي بين الأسماء التي يوردها ابن الشباط والأسماء اللاتينية يفرض علينا البحث فيما يدعم ذلك بالعودة إلى دلالة هذه الأسماء ومعانيها. فـ CANDIDUS هو لقب ذو أصول لاتينية ومنتشر بكثافة داخل المجتمع الإفريقي المرومن[20]، ويحيلنا على البساطة والتواضع والنقاء. أما CLEMENTIUS فهو كذلك اسم وكنية سائدان بالمجتمع الإفريقي المرومن والذي يفيد الرحمة والتسامح[21]. وهو نفس الشيء بالنسبة لكنية QUIETUS الذي يفيد الراحة والطمأنينة[22]. أما بالنسبة SOCRATES فهو اسم أو كنية ذات أصول اغريقية ونجده بشكل متواتر في العديد من النقائش اللاتينية بالمدن الافريقية الرومانية وبالضيعات الإمبراطورية شأنه شأن عديد الأسماء الإغريقية، وقد انتشر بالخصوص لدى عبيد أو معتوقي الأباطرة الرومان الذين عادة ما أطلقوا ألقابا وأسماء إغريقية الأصل على عبيدهم أو معتوقيهم[23].

من ناحية أخرى، فإن هذه الأسماء بدلالتها المتعلقة بالبساطة والنقاء والرحمة والهدوء والسكينة باتت أكثر تداولا خلال الفترة المسيحية القائمة على جملة هذه المبادئ، وخصوصا CANDIDUS, CLEMENTIUS, QUIETUS.

16) ابن الشباط، **ن.م.**، ص 186 ظ.

17) ابن الشباط، صلة، مخ 5606، ص 186 ظ.

18) ابن الشباط، **ن.م.**، 168 ظ.

19) ابن الشباط، **ن.م.**، ص 186 ظ.

20) Voir à titre d'exemple : *CIL*, VIII, 7720, 8526.

21) Voir à titre d'exemple : *CIL*, VIII, 21838.

22) Voir à titre d'exemple : *CIL*, VIII, 2913, 2975.

23) Voir à titre d'exemple : *CIL*, VIII, 4365, 7726, 9650.

لذلك فإن هذه الأسماء تكررت ضمن أسماء أساقفة الكنيسة المسيحية[24]. أمّا بالنسبة للفظ HORTUS والذي قاربناه بتسمية قصر الأرطس، أو بالأحرى أرطس فقد كان كذلك متواترا في التراث المسيحي القديم. فيذكر القديس أغسطينوس مثلا أن الأسقف *Leporius* بنى ديرا في حديقة أو بضيعة (*hortus*) وهو كذلك الشأن بالنسبة لدير مدينة *Hippo Regius* الذي بني في حديقة / ضيعة وهبها أحد أعيان المدينة ويسمّى *Valerius*[25].

ويبدو أنه منذ فترة القديس أغسطينوس، فإن إنشاء الأديرة تمّ في ملكية وضيعات ريفية وهو الأمر ذاته بالنسبة لدير مدينة *Thagaste* (سوق أهراس) الذي شيّد بضيعة (*hortus*) كان القديس أغسطينوس نفسه قد ورثها بأحواز المدينة[26].

وتحيلنا كل هذه المعطيات إلى طرح فرضية فحواها إمكانية تعلق كل هذه القصور التي أوردها ابن الشباط خلال القرن السابع / الثالث عشر بضيعات فلاحية حملت أسماء مالكيها بشكل مباشر دون تطورها ضرورة في شكل مدن أو قرى صغرى وذلك اعتبارا لغياب النسبة الإثنية في هذه الأسماء التي لا تحمل اللاحقة iana- أو ianus-[27]. إذا فهي ملكيات عقارية نسبت بشكل مباشر إلى مالكيها الأول، وهي طريقة في التسمية متناغمة مع تسمية بعض الضيعات التي يوردها القديس أغسطينوس أي بذكر الضيعة ويليها مباشرة اسم مالكها الأول حتى لو تعلق الأمر بضيعات تمّ منحها للكنيسة. وهو ما يؤكده الأستاذ حسين الجعيدي في معرض حديثة عن طرق تكون ممتلكات الكنائس بإفريقيا خلال الفترة القديمة المتأخرة. فيشير الى أن أسماء العديد من الضيعات التي وهبت إلى كنيسة *Hippos Regius* (عنابة) ظلت تحت أسماء مالكيها الأول[28]. وعلى هذا الأساس، فإنه من المرجح أن أسماء قصور قفصة تشير كذلك إلى أسماء مالكيها وهي كالتالي:

---

24) Mandouze (A.), 1982, *Prospographie chrétienne du Bas-Empire 1. Prospographie de l'Afrique chrétienne (303-533)*, CNRS, Paris, p. 185-186 ; 213 ; 937-938.

25) Jaïdi (H.), 1996, Remarques sur la constitution des biens des églises africaines à l'époque romaine tardive, in *Splendissima civitas. Etudes d'histoire romaine en hommage à François Jacques*, réunies par André Chastagnol, Ségolène Démougin et Claude Lepelley, Publication de la Sorbonne, p. 176, note 39 et 45.

26) *Ibid.*, p. 177.

27) Arnaud (P.), 1998, Les toponymes en –IANA/-IANIS des itinéraires : des villes de Ptolémée aux grands domaines ?, *Geographica Historica*, textes réunis par Pacal Arnaud et Patrick Counillon, Bordeaux-Nice, p. 201-224.

28) Jaïdi (H.), *op. cit.*, p. 169-191.

- قصر كنديدوس
- قصر كليمنتيوس
- قصر كويتوس
- قصر سقراطس

واعتبارا لكل ما ذكر من انتشار هذه الأسماء خلال الفترة المسيحية فإنه يمكن أن تكون هذه القصور التي أوردها ابن الشباط ملكيات لشخصيات مسيحية سواء من أوفياء هذه الديانة من عامة الناس أو من تقلد وظائفها الدينية كالأساقفة مثلا.

وممّا من شأنه أن يدعم هذه الفرضية هو أهمية المعطيات الأثرية والنقائشية المسيحية بجهة قفصة وخصوصا في النواحي الشمالية منها. فببلاد الطلح مثلا، عثر الأستاذ موسى الطبابي على ثلاثة مواقع أثرية تحوي بقايا كنائس وأحواض تعميد ونقائش جنائزية مسيحية تعلق بعضها بوظائف دينية[29].

وعلى الرغم من تأثيرات حركتي الأسلمة والتعريب التي عرفتهما افريقية بعد القرن السابع الميلادي والمتمثلة في تناقص عدد المسيحيين وتقلص عدد الأسقفيات والأديرة، فقد كان لقوة تأثير الماضي المسيحي دور في رسوخ اللّغة اللاتينية في هذه الجهة الى حدود القرن الثاني عشر الميلادي حسب شهادة الادريسي[30] فضلا عن استمرار بقاء عدد من النصارى الى حدود القرن الثالث عشر الميلادي، وربما حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي. فهذا فرنسوا أرنولي François Arnoulet، نقلا عن وثائق قديمة يشير الى مجموعة من الفرنسيسكان Franciscains والدومنيكان Dominicains قدمت الى افريقية في سنة 1219 م و1221 م وكانت تجمعها علاقة بأفراد غير مسلمين يتكلمون البربرية ويقيمون في مدينة قفصة. وقد كان هؤلاء يحتفظون لديهم بناقوس وعدد من الكتب الدينية تعود الى الفترة البيزنطية.[31] كما تأتي شهادة عالم اللسانيات باولو بونبيليو Paolo Pompilio قوية في ترجيح استمرار وجود مجموعات نصرانية في نواحي مدينة قفصة خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، حيث يشير الى أن

29) Tabbabi (M.), 2020, *Bled Talh (Sud tunisien) dans l'Antiquité : l'occupation du sol, Thèse de Doctorat en Histoire ancienne, s*ous la direction du Professeur Abdellatif Mrabet, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Sousse, p. 260-267.

30) «وأهلها متبربرون وأكثرهم يتكلم باللسان اللاتيني الافريقي»، **نزهة المشتاق**، ص 278.

31) Arnoulet (F.), 1992, « L'Église mozarabe en Tunisie au XIII[e] siècle », *Actes du V[e] colloque international sur l'histoire et l›archéologie de l'Afrique du Nord. Afrique antique et médiévale. Spectacles, vie portuaire, religions,* Avignon, avril 1990, Paris, p. 250.

سكان عدد من القرى كانوا يتحدثون بلسان لاتيني سليم. وفي هذا الإطار ذهبت فرجني بروفست Virginie Prévost الى التأكيد على أنَها ليست اللاتينية الافريقية التي ذكرها الادريسي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي وانما اللاتينية الأم التي كان يستخدمها عدد من النصارى المهاجرين الى هذه القرى الواقعة في جهة قفصة[32].

بيبليوغرافيا

المصادر

ابن الشباط (محمد بن علي بن محمد التوزري)، ت 684 هـ / 1282 م:

- **صلة السمط وسمة المرط في الفخر المحمدي**، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس، رقم 5606، ج 3، رقم 21592، ج 1.

- **صلة السمط وسمة المرط في الفخر المحمدي**، الجزء المتعلق بفتح افريقية والمغرب، تحقيق خالد الشابي، شهادة الكفاءة في البحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، 1977.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد النصيبي)، تـ 367 هـ / 977 م، **صورة الأرض**، تحقيق م. ج. دي خوري، ليدن، 1967.

ابن سحنون (أبو عبد الله محمد)، تـ 256 هـ / 870 م، **كتاب الأجوبة**، تحقيق حامد العلويني، دار سحنون، تونس، 2000.

ابن عذاري (عبد الله بن محمد المراكشي)، تـ بعد 712 هـ / 1312 م، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، 4 أجزاء، حقق الأجزاء الثلاثة الأولى ج. س. كولانو أوليفيير وفنسال، وحقق الجزء الرابع إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، بيروت 1983.

الادريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي)، تـ 560 هـ / 1166 م، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، نابولي، 1970-1982.

البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز)، تـ 487 هـ / 1094 م، **المسالك والممالك**، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، 1992.

التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد)، تـ 717 هـ / 1317 م، **رحلة التجاني**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1981.

الحميري (محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور التونسي)، تـ بعد 726 هـ / 1326 م، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

32) Prévost (V.), 2007, « Les Dernières communautés chrétiennes autochtones d’Afrique du Nord », *Revue de l’histoire des religions*, 224, p. 473.

الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني)، تـ 425 هـ / 1034 م، **تاريخ افريقية والمغرب**، تحقيق محمد زينهم ومحمد عزب، دار الفرجاني، تونس، 1994.

السراج (محمد بن محمد الأندلسي)، تـ 1149 هـ / 1736 م، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، 3 أجزاء، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيروت، 1984.

المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد)، تـ بعد 464 هـ / 1072 م، **رياض النفوس**، 3 أجزاء، تحقيق البشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981-1983.

النويري (شهاب الدين أبو العباس أحمد)، تـ 733 هـ / 1332 م، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، حقق حسين نصار وعبد العزيز الأهواني الجزء 24 منه، القاهرة، 1983 وحقق محمد أمين ومحمد حلمي الجزء 28 منه، القاهرة، 1992.

مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، كُتب في نهاية القرن 6 هـ / 12 م، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، 1958.

المراجع

حسن محمد، **الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول الى القرن التاسع هجري / السابع-الخامس عشر الميلادي**، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.

Arnaud 1998 : Arnaud (P.), « Les toponymes en –IANA/-IANIS des itinéraires : des villes de Ptolémée aux grands domaines ?», *Geographica Historica*, textes réunis par Pacal Arnaud et Patrick Counillon, Bordeaux-Nice, p. 201-224.

Arnoulet 1992 : Arnoulet (F.), «L'Église mozarabe en Tunisie au XIIIe siècle», *Actes du Ve colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord. Afrique antique et médiévale. Spectacles, vie portuaire, religions,* Avignon, avril 1990, Paris, p. 249-254.

Jaïdi 1996 : Jaïdi (H.), « Remarques sur la constitution des biens des églises africaines à l'époque romaine tardive », in *Splendissima civitas. Etudes d'histoire romaine en hommage à François Jacques*, réunies par André Chastagnol, Ségolène Démougin et Claude Lepelley, Publication de la Sorbonne, p. 169-191.

Mandouze 1982 : Mandouze (A.), *Prospographie chrétienne du Bas-Empire 1. Prospographie de l'Afrique chrétienne (303-533)*, CNRS, Paris.

Prévost 2007 : Prévost (V.), « Les Dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord », *Revue de l'histoire des religions*, 224, p. 461-483.

Tabbabi 2020 : Tabbabi (M.), *Bled Talh (Sud tunisien) dans l'Antiquité : l'occupation du sol, Thèse de Doctorat en Histoire ancienne,* sous la direction du Professeur Abdellatif Mrabet, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Sousse.